شأنه فيهم ثم انه عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطور ان عيسى ومريم
والاله ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكان ان عيسى هو الله لم يزل ولا يزال
فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له انت خالصتي فادع الناس الى ما علمتك وامره ان
يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رأيت عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم اني سأذبح
نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق اولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم
وواحد الى بيت المقدس والآخر الى ناحية اخرى واظهر كل واحد مقالته ودعا الناس اليها فتبعه على
ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك بسبب قولهم المسيح ابن الله قال الامام
فخر الدين بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب عندي ان يقال لعله ذكر لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف
كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم عليه السلام على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة
الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم فنشأ هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله اعلم بحقيقة
الحال ذلك قولهم بافواههم يعني انهم يقولون ذلك بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال اهل المعاني
لم يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له يضاهئون قال
ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون قول الذين
كفروا من قبل قال قتادة معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت
اليهود عزير ابن الله قال مجاهد معناه يضاهئون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة
بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال
القتيبي يريد ان من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال اولهم قاتلهم
الله قال ابن عباس لعنهم وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب اي حقا
ان يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما اعجب فعله انى
يؤفكون يعني انى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل في اقامة الحجة بان الله واحد احد فجعلوا له ولدا تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطاب على عادة العرب
في مخاطباتهم فالله تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم الباطل قوله تعالى اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله يعني اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء من اليهود
والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى اربابا من دون الله يعني انهم اطاعوهم في معصية الله تعالى وذلك انهم
احلوا لهم اشياء وحرموا عليهم اشياء من قبل انفسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب لانهم عبدوهم واعتقدوا فيهم
الالهية عن عدي بن حاتم قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك
هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم
ولكنهم كانوا اذا احلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله
ابن المبارك وهل بدل الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها والمسيح ابن مريم يعني اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا
فيه البنوة والحلول اعتقدوا فيه الالهية وما امروا يعني وما امروا في الكتب الالهية المنزلة عليهم وعلى السنة انبيائهم
الا ليعبدوا الها واحدا لانه المستحق للعبادة لا غير لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اي تعالى الله وتنزه عن ان
يكون له شريك في العبادة والاحكام او ان يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال يريدون يعني
يريد رؤساء اليهود والنصارى ان يطفئوا نور الله بافواههم يعني يريد هؤلاء ابطال دين الله الذي جاء به محمد صلى الله

عليه

عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي امور احدها المعجزات
الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القرآن العظيم الذي
نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الابد على صدقه وثالثها ان دينه الذي امر به وهو دين الاسلام ليس
فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبري
من كل معبود سواه فهذه امور نيرة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن اراد ابطال ذلك
بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلاء الكلمة
واظهار الدين ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون يعني ويأبى الله الا ان يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي
بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره الكافرون قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله يعني ان الله الذي
يأبى الا ان يتم دينه هو الذي ارسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى يعني بالقرآن الذي انزله عليه وجعله
هاديا اليه ودين الحق يعني دين الاسلام ليظهره اي ليعليه على الدين كله يعني على سائر الاديان وقال ابن عباس
الهاء في ليظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى
عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها
وهو ان لا يعبد الا الله لا اله الا هو قال ابو هريرة والضحاك وذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى اهل دين
الا دخلوا في الاسلام ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال النبي صلى الله
عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى
على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز او بذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم من
اهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له اخرجه البغوي بغير سند عن عائشة قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله ان كنت
لاظن حين انزل الله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك
تام قال انه سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فيتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل
من الايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين ابائهم قال الشافعي فقد اظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم
على الاديان كلها بان ابان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل قال واظهره بان جماع اهل الشرك
دينان دين اهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام
طوعا وكرها وقتل اهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرون وجرى عليهم
حكمه فهذا ظهوره على الدين كله ولو كره المشركون قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفي قوله ان كثيرا دليل على ان الاقل
من الاحبار والرهبان لم يأكلوا اموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن
اخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى ليأكلون اموال الناس بالباطل لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمي الشيء
باسم ما هو اعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من اجله اكلوا اموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا يأخذون
الرشا من سفلتهم على تخفيف الشرائع والمسامحة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بايديهم كتبا يحرفونها ويبدلونها
ويقولوا هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا وهي المآكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي
صلى الله عليه وسلم وصفته من كتبهم لانهم كانوا يخافون لو امنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل
وقيل ان التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم فكان الاحبار والرهبان يذكرون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)